الرسالة

(أفسس ٤: ١–٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلُكوا كما يحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بها* بكُلِّ تواضُعٍ ووداعةٍ وبِطولِ أناةٍ محتَمِلَين بعضُكم بعضاً بالمحبَّةِ* ومجتَهدينَ في حِفظِ وحدَةِ الروحِ بِرباطِ السلام* فإنَّكم جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحد كما دُعيتُم إلى رجاءِ دعوتِكُم الواحِد* ربٌّ واحِدٌ وإيمانٌ واحِدٌ ومعموديَّةٌ واحِدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميعِ واحدٌ هو فوقَ الجميعِ وبالجميعِ وفي جميعِكم* ولكلٍّ واحدٍ منَّا أُعطِيتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهِبَةِ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦–٢١)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ غنيٌّ أَخْصَبَتْ

الغني الغبي

النص الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم مأخوذ من الفصل الثاني عشر من إنجيل لوقا (١٢: ١٦–٢١) الذي يعلّمنا فيه الربّ يسوع ألاّ نضلّ طريقنا نحو ملكوت الله، إذا ما وقعنا في الرياء وحب المال والطمع وإساءة الأمانة: «بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلّها تُزاد لكم» (١٢: ٣١). ويشدّد على أنّ ما لنا هو عطيّة من الله، وعلى أنّ الصدقة، أي مساعدة المحتاج، هي السبيل إلى الملكوت، لا بل هي ما يجب علينا أن نكنزه لنصل إليه: «لا تخف أيّها القطيع الصغير لأنّ أباكم قد سُرّ أن يعطيكم الملكوت. بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى وكنزًا لا ينفد في السموات حيث لا يقرب سارق ولا يُبلي سوس. لأنّه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضًا» (١٢: ٣٣–٣٤).

غالبًا ما يُفهم موضوع الغنى في الكتاب المقدّس بشكل خاطئ، فيُعتبر الغنيّ خاطئًا مرذولاً، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. غير أنّ ما يحذّر منه الكتاب المقدّس هو الوقوع في فخّ الغنى، حين يعتقد الغني أن مصدر حياته هو ممتكاته وأمواله، ناسيًا أنّ مصدر كلّ الخيرات هو الله: «للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع ساكنيها» (مز٢٤: ١). فالغنى في الأصل عطيّة من الله، وعلى الغني أن يعي أنّه مدعو إلى التعبير عن شكره لله من خلال محبّته لقريبه، فيعينه في ما هو محتاج إليه. هذا ما فهمته الكنيسة وعبّرت عنه بشتّى الطرق، كمثل ما تطلبه في سرّ الزواج للمتزوجّين: «أعطهما من ندى السماء فوق، ومن دسم الأرض. املأ بيوتهما من القمح والخمر والزيت ومن كلّ الخيرات، لكي يعطيا منها للمحتاجين» (من صلاة الإكليل).

الغنى نعمة يمنحها الله لنا، ولكن المشكلة تكمن في كيفيّة تصرّفنا بهذا الغنى. الكنيسة تحذّرنا دومًا ممّا قد ينجم عن الغنى من خلال استخدامه بشكل سيّء. وما تنبّهنا إليه الكنيسة في هذا اليوم هو الطمع، لذلك تقرأ على مسامعنا المَثَل الذي أعطاه الربّ يسوع (لو١٢: ١٦–٢١)، بعد خلاف نشأ بين الإخوة حول قسمة الميراث: «وقال لهم انظروا وتحفّظوا من الطمع. فإنّه متى كان لأحدٍ كثيرٌ

العدد ٢٠١٥/٤٧

الأحد ٢٢ تشرين الثاني

تذكار الرسول فيليمون ورفقته

والشهيدة سيسيليا ورفقتها

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثالث

فليست حياته من أمواله» (لو١٢: ١٥). الكلمة اليونانيّة المستعملة في سياق النص للتعبير عن الطمع تعني أيضًا اشتهاء الإنسان لما يفوق حاجته، ويمكن ترجمتها أيضًا بكلمة جشع. في كلّ الأحوال الموضوع المطروح هنا هو اهتمام الإنسان بنفسه من دون غيره.

يبدأ الربّ يسوع بالحديث عن غنيّ أخصبت أرضه، وهذا يعني بلغة المزارعين أنّ الأرض أعطت كلّ طاقتها، وبالتالي فإنّ المحصول يكون فائضًا. تبدأ المشكلة في السؤال: ماذا سيحصل بكلّ هذا المحصول؟ إلاّ أنّ خيار الغني جاء انطلاقًا من أنانيّة موصوفة، معتبرًا أنّ الثمار التي نالها من الأرض هي له فقط، ووحده من يحق له التمتّع والفرح بها. نتيجة موقفه هذا حدّد الربّ صفته: إنّه غبيّ (أو جاهل بحسب بعض الترجمات). غبيّ لأنّه اعتقد أنّ تكديسه لمحاصيله سيؤمّن له حياة سعيدة.

إذا كان الغنى مطلوب كما ذكرنا سابقًا فأيّ نوع من الغنى يطلبه الربّ إذًا؟ الغنى المتعارف عليه هو الغنى المادّي، وهناك من يُضيف غنى الأخلاق. غير أنّ الكتاب المقدّس يطلب الذي على غرار غنى الله، ألا وهو الرحمة: «الله الذي هو غنيّ بالرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٤). الغنى الحقيقي هو عمل الرحمة، إنّه المحبّة، محبّة الآخر، مثلما أحبّنا الربّ وبذل نفسه من أجلنا. غباء الغني في المَثَل الذي أعطاه الربّ يسوع، أنّه لم يحبّ إلاّ نفسه: «يا نفسي، لكِ خيراتٌ كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي» (لو١٢: ١٩).

أخطر ما في الأمر هو أنّ الغنيّ بفعلته هذه، أي باتّكاله على خيراته الأرضيّة المادّيّة، استغنى عن الله الذي هو مصدر هذه الخيرات. غالبًا ما ينسى الإنسان هذا الأمر، ويحاول بشتّى الوسائل التأمين على حياته خوفًا من المستقبل، متغافلاً عن كون الله هو خالقنا، وإذا كان يهتمّ بسائر الكائنات الأخرى التي هي خليقته أيضًا، ألا يهتمّ بنا نحن أيضًا: «تأمّلوا الغربان. إنّها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور ... تأمّلوا الزنابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم ولا سليمان في كلّ مجده كان يلبس كواحدةٍ منها. فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويُطرح غدًا في التنّور يلبسه الله هكذا فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان» (لو١٢: ٢٤–٢٨).

غير أنّ الضربة القاضية تأتي من العقوبة: «فقال له الله يا غبيّ، هذه الليلة تُطلب نفسك منك» (١٢: ٢٠). في الواقع لا يتوقّف الأمر على موضوع الموت. الكل سيموتون، لكنّ العقوبة هي تقصير الحياة على الأرض. هذه العقوبة تقابلها المكافأة في إطالة العمر إذا ما أطاع الإنسان الله: «أكرم أباك وأمّك لكي تطول أيّامك على الأرض التي يعطيك الربّ إلهك» (خر٢٠: ١٢). الغنيّ جلب على نفسه الدينونة حين أساء استعمال عطيّة الله، ومصيره مصير ذلك الوكيل الذي يقيمه سيّده على خَدَمه ليعطيهم طعامهم في حينه، لكنّه عوّضا عن ذلك يبدأ بضرب الغلمان والجواري ويأكل ويشرب ويسكر: «يأتي سيّد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين» (لو١٢: ٤٥–٤٦).

لقد أوكل الله إلى كلّ واحد منّا مهمّة الاهتمام بخليقته، كلٌّ من موقعه، وعلينا أن نكون أمناء، وأن

أرضُهُ* فَفكَّر في نفسِهِ قائلًا ماذا أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضِعٌ أخْزُنُ فيهِ أثماري* ثمَّ قال أصنَعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غلَّاتي وخَيْراتي* وأقولُ لِنَفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنِين كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقالَ لهُ اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِهِ ولا يستَغْني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَن لهُ أُذُنانِ للسمْعِ فليسمَعْ.

تأمل

«ربٌّ واحدٌ وإيمان واحد ومعمودية واحدة».

يُدعى المسيح «ربّاً» (لو ٢: ١١)، لا على سبيل المغالاة كما هي الحال بين البشر، إنما هو ربّ بطبيعته ومنذ الأزل. ويُدعى «يسوع»، وهو اسم يليق به (متى ١: ٢١، لو ١: ٣١)، لأنه يأخذ هذه التسمية من الشفاء

الخلاصي الذي يمنحنا. ويُدعى «ابناً» (متى ٣: ١٧، مز ٢: ٧)، ليس لأنه نال البنوّة بالتبني، ولكن لأنه وُلد بحسب الطبيعة. كثيرة إذاً هي الأسماء التي تُطلق على ربنا. ولكن لئلا تحملك هذه الأسماء على الاعتقاد بأن هناك أبناء كثيرين، ولئلا تكون أضاليل الهراطقة – الذين يقولون إن المسيح هو غير يسوع – حجر عثرة لك، فقانون الإيمان يحذّرك حقاً بقوله: «وبربٍ واحد يسوع المسيح». فالأسماء كثيرة، ولكنها لشخص واحد.

وعليه، تختلف نظرة كل واحد إلى المخلّص باختلاف حاجته إليه: فهو «الكرمة» لمن هم في حاجة إلى فرح، (يو ١٥: ١)، و«الباب» لمن هم في حاجة إلى الدخول (يو ١٠: ٧)، و«عظيم الأحبار الوسيط» (عبر ٧: ٢٦، ١ تيمو ٢: ٥) لمن هم في حاجة إلى تقديم صلوات. وللخطأة فهو «النعجة» التي تُذبح لأجلهم. يصير كلاً للكل (١ كور ٩: ٢٢) نتصرّف بالخيرات التي يمنحنا إيّاها كما لو كان هو نفسه من يتصرّف بها. لكنّنا ننسى ونعتقد أنّ ما بين أيدينا هو ملكٌ لنا، فتأتي الكنيسة وتذكرنا كلّ مرّة، وتطرح علينا السؤال على لسان الربّ يسوع: «يا غبيّ، هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو١٢: ٢٠).

وأعترف بمعمودية واحدة

يرد في دستور الإيمان النيقاوي – القسطنطيني، الذي وضعه آباء المجمعين المسكونيين الأول (عام ٣٢٥) والثاني (عام ٣٨١)، «... وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا...». في هذا الإعلان تضع الكنيسة الإعتراف بالمعمودية الواحدة وحاجة الإنسان لأن يعتمد على المستوى الإيماني العقائدي نفسه الذي للإعتراف الإيماني بالله الآب والإبن المساوي له في الجوهر والروح القدس المحيي، وبالكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية، والمجيء الثاني.

الأسرار في الكنيسة هي القنوات الأساسية لاقتبال النعمة. هي امتداد عمل المسيح الخلاصي في التاريخ بحال غير منظورة، بقوة وفعل الروح القدس، وذلك من أجل تقديسنا وتقديس حياتنا. هي حضور السيد وسط جماعته المؤمنة به التي تترقب حضوره. هي التي تجعلنا نحيا في الجسد ما عاشه الرب في الجسد. هي حياة المسيح منقولة إلينا بالعنصرة بانعطاف الروح القدس. هي، وكما يقول القديس نيقولا كاباسيلاس: «بمثابة أبواب السماء التي بها يُدخل المسيح المؤمنين إلى السماء».

إذا كانت الأسرار هي أبواب السماء، أبواب الفردوس، فإن المعمودية هي عتبة أبواب الفردوس. عند اجتياز هذه العتبة تُفتح لك الآفاق للمشاركة في كل الأسرار، في حياة الكنيسة عامة، التي توَهّلك إلى الملكوت. لا يحق لغير المعمّد أن يشترك في باقي الأسرار. وقد أكدت على هذا الأمر كتابات الآباء: «لا أحد يشرب أو يأكل في الافخارستيا إلّا المعمَّد باسم الرب» (تعليم الرسل الإثني عشر ٩: ٥)، و«الروح القدس لا يسكن في أولئك الذين لم يتعمّدوا، ولكن بعد إثبات انهم نالوا الروح القدس بالمعمودية، فلا شيء يمنعهم من لمس المسيح مخلّصنا» (القديس كيرلس الإسكندري).

المعمودية إذاً، هي أول الأسرار التي يجب اقتبالها لكي يصبح الإنسان عضواً في جسد المسيح، في كنيسة المسيح. فمَن يؤمن بالرب يسوع يسعى إلى أن يتحد به، يسعى لأن ينال نعمة الخلاص والحياة الجديدة. المعمودية هي الوسيلة لنيل هذه النعمة عبر التغطيس في المياه (هذا ما تعنيه كلمة معمودية في اليونانية) على اسم الآب والإبن والروح القدس. ننال نعمة الخلاص والحياة الجديدة التي منحنا إياها الرب يسوع الذي انتصر على الموت والشرير بموته وقيامته. كيف؟

يقول الرسول بولس: «إننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك أيضاً في حياة جديدة» (رو٦: ٣–٤). أي اننا نموت مع المسيح ونقوم معه في المعمودية. ولكن بأي مفهوم؟ عندما غُطّسنا في المياه يوم معموديتنا، فإننا دَفنّا إنساننا

العتيق «ليُبطل جسد الخطيئة، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة» (رو ٦: ٦). وكما «متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا أيضاً معه» (رو ٦: ٨)، وعندما نخرج من المياه نقوم مع المسيح إلى حياة جديدة أبدية فلا تسود علينا الخطيئة بعد (رو ٦: ١٤). في المعمودية تُعطى لنا النِعَم التي حققها الرب بموته وقيامته، لأننا في المعمودية نموت ونقوم معه. هذه هي الولادة الجديدة من فوق التي تحدَّث عنها الرب يسوع مع نيقوديموس الذي أتى إليه ليلاً: «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله. قال له نيقوديموس كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ، ألعلّه يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد. أجابه يسوع: «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٣–٥). في المعمودية نولد ثانية في ملكوت الله الذي فقدناه قديماً، لأننا نموت على شبه موت يسوع المسيح ونقوم معه لحياة أبدية. لأننا في المعمودية نتحد بالمسيح ونلبس المسيح ونصير أبناء الله: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٦ و٢٧).

عند ولادته يكون الإنسان فرداً من شعب وأمّة ودولة معينة. في المعمودية يولد الإنسان من جديد ويصبح عضواً في شعب الله. يصبح جرن المعمودية، بحسب القديس كيرلس الأورشليمي، قبراً وأمّا معاً. قبراً، لأن الإنسان العتيق المنفسد بشهوات الخطيئة يُمات في مياه جرن المعمودية، وأماً لأن الإنسان يولد عند خروجه من المياه ولادة جديدة لحياة أبدية ويصبح نقياً طاهراً يحيا منذ الآن حياة الملكوت.

إذاً، المعمودية هي الميلاد الثاني للإنسان، لكن «ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو ١: ١٣) الذي يشاء «ان جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تيمو ٢: ٤). إنها السر الذي «يُعيد ولادتنا بالروح» (القديس سمعان التسالونيكي). وكما ان الإنسان يولد من بطن أمه بالجسد مرة واحدة، هكذا أيضاً الولادة بالروح تتم مرة واحدة ولا تعاد المعمودية أكثر من مرة: «وأعترف بمعمودية واحدة».

على ان مَن يلطّخ حياته بالخطايا يشبه مَن حلّت بجسده الأمراض، فيذهب إلى الطبيب الذي يعالج مرضه الجسدي بالدواء. أما الذي عاد وأخطأ بعد معموديته، ولأن المعمودية لا تُعاد، فقد هيَّأ لنا ربنا سر التوبة والإعتراف الذي يمنحنا عبره الرب بواسطة كنيسته الغفران والشفاء من العلل الروحية. فلنسعَ جاهدين أن نحافظ على نفوسنا سالمة إلى يوم مجيء الرب الثاني.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٥ وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

مع كونه لا يزال باقياً كما هو بحسب طبيعته. وهو، إذ يبقى كما هو محتفظاً بكرامة نبوّته بلا تغيير، يسعى كطبيب ماهر ومعلّم رؤوف إلى نجدتنا في أسقامنا. وبما أنه ربّ حقاً، لم يتلقَّ الربوبية تدريجياً، بل كانت له بطبيعته. وهو لا يُدعى «ربّاً» على سبيل المغالاة كما نفعل نحن، ولكنه ربّ حقاً، إذ إنه بإرادة أبيه يدبّر أعماله الخاصة. نحن نبسط سلطاننا على أناس مساوين لنا في الكرامة والطبيعة، وأحياناً على أناس أنبل منا، ويحدث أحياناً أن يتسلّط سيّد شاب على خدم مسنين. أما الربوبية لدى سيدنا يسوع المسيح فليست هكذا، إنّه أولًا خالق ثم ربّ: لقد خلق أولاً كل شيء بإرادة الآب، ثم أخذ يدبّر أولئك الذين خلقهم.

القديس كيرلس الأورشليمي